

يُفكر أحد منهم في إيضاح معنى «السبب» وطبيعة العلاقة التي تربط بني السبب وما ينتج عنه، وكان الاهتمام الكبري الذي أبدى بفكرة السببية في مطلع العصر الحديث — نتيجةً لسيطرة النظرة الميكانيكية إلى العالم — هو الذي دعا أحد فلاسفة هذا العصر — وهو نتيجة كانت لها من الناحية السببية أصداء عميقة؛ فقد انطلق هيوم من المفهوم الذي وأعني به زواياه، وتبني له — من خلال تحليله الفلسفي — أن امسألة في حقيقتها على خلاف ذلك؛ أي بني ارتفاع نسبة الرطوبة وسقوط امطر مثلاً . ولكن تقوم الرطوبة بإسقاط امطر، مثلما نقوم نحن — بجهننا البشري — بصنع أشياء؛ الواقع ولا توجد أية ضرورة تُحتّم وكل ما في الأمر أننا «اعتدنا» أن نرى الظاهرتني فنشأ عن هذا التعاقب رأينا الظاهرة الأولى توقّعنا الثانية؛ لا تتضمن إلا أحداثاً متعاقبة، ونحن الذين نربط بني هذه الحوادث املتعاقبة نتيجة التعود، آخر. الرياضيات. وهكذا اعتقد «ديفيد هيوم» أن الأساس الأول للعلم — وهو فكرة السببية — بات مُزعزَعاً نتيجة هذا التحليل الذي قام به، ولكن حقيقة الأمر هي أن هذا التحليل لا يمتد ذلك أم كان معناها مجرد التعاقب؛ الفلسفية للمفاهيم العلمية، أما